المبحث الثالث

مراكز علمية أخرى

خصصتُ هذا المبحث لدراسة المراكز العلمية الأخرى التي اعتنت بالدرس اللغوي العربي وكانت عاملاً من عوامل نموه وتطوره، كالجمعيات اللغوية والمكتبات واللجان العلمية أو ما شابهها، وحصرتها بطبيعة الحال بالفترة التي خُصِّصَت للبحث، أي لم أتجاوز سنة 1950م.

قسَّمت المبحث إلى مطالب ثلاثة هي:

المطلب الأول: المراكز العلمية في مصر.

المطلب الثاني: المراكز العلمية في بلاد الشام.

المطلب الثالث: المراكز العلمية في العراق.

وبسبب التقدّم الحضاري والنمو السكاني في مصر فقد احتلت المرتبة الأولى بكثرة المؤسسات العلمية التي اهتمت بالدرس اللغوي، وهذا ما سنلاحظه بين يدي هذا المبحث.

المطلب الأول: المراكز العلمية في مصر:

أولاً: جمعية المعارف:

تعدّ جمعية المعارف أول خطوة في سبيل نشر التراث في مصر، خطاها علي مبارك باشا حين ألَّف هيئة برئاسة رفاعة الطهطاوي، فحذت جمعية المعارف سنة 1868م حذو الهيئة الرسمية فنمت نمواً سريعاً، وانضم لها كثير من محبي العلم وعددهم (661) عضواً[1]، فعُنيت بإحياء عددٍ كبير من الكتب التاريخية والأدبية كما عُنِيت بنشر طائفةٍ من الدواوين الشعرية التي أنتجتها العصور الزاهرة في المشرق والأندلس[2].

ويرى د.عبد المجيد ذياب أن تحقيق الكتب في هذه الجمعية لم ينهج نهجاً علمياً دقيقاً؛ فالمصحح كان يفسّر بعض الألفاظ، ويشير أحياناً إلى اختلاف النسخ دون أن يرمز لها، ولا يعلل لما اختار هذه الرواية وترك الثانية، ولم توضع مقدمات علمية كما عرفناها في الكتب المحققة حديثاً، ولا أُعدَّت لها فهارس[3]، وهذا خلل عانت منه الكتب التي أخرجتها هذه الجمعية، وقد يكون السبب أن هذه المعاناة كانت في الكتب التي نشرتها الجمعية وحققتها أول تأسيسها ؛لأنها كانت تريد أن تثبّت كيانها،وقد يكون جهلاً بالتحقيق وقواعده العلمية ومنهجه الدقيق.

ثانياً: دار الكتب المصريّة:

---

(1) راجع أسماء الأعضاء في آخر الجزء الأول من (تاج العروس) الذي طبعت منه الجمعية خمسة أجزاء سنة 1285هـ.

(2) من هذه الكتب شرح التنوير على سقط الزند، وتاج العروس للزبيدي، وأُسد الغابة، وزهر الآداب، وديوان ابن خفاجة الأندلسي. ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره،د.عبد المجيد ذياب، دار المعارف بمصر، ط2، 1993م، 86/الهامش.

(3) ينظر م. ن: 86، 87.

لم يكن هناك وعي تامّ بأهمية الكتب التي تمتلكها مصر، والتي كانت موزَّعة في المساجد الكبيرة، وبيوت العلماء، ولم يكن هناك ما يمنع من الإتِّجار بها، أو يحول دون نقلها، فانتبه إلى خطورة هذا الوضع (علي مبارك باشا)، الذي كان يُشغِل رئاسة ديوان المدارس، فرأى ضرورة قيام مكتبة تضمُّ شتات الكتب المتناثرة؛ صوناً لها من الضياع، فألقى برغبته إلى الخديوي إسماعيل الذي كان في نفسه مثل هذه الرغبة، فأصدر قراراً بإنشاء دار تجمع المخطوطات النفيسة.

تكوَّنت دار الكتب من (الكتبخانة) القديمة التي أنشأها محمّد علي وجعل مقرها القلعة، ومكتبات الجوامع التي قام ديوان الأوقاف بحصر محتوياتها، ومن هذه المجموعات وغيرها تكوَّنت الكتبخانة الخديوية، فانعقد بديوان المدارس اجتماع رأسه (علي مبارك) في سنة 1870م، لوضع قانون دار الكتب الأوّل، ولائحة نظامها من حيث أقسامها، واختصاصات العاملين بها، وأوقات فتحها، وطرق الاستعارة منها، فافتُتِحت في 24 أيلول (سبتمبر) 1870م، ولذلك فهي تُعدّ أقدم مكتبة وطنية تنشأ في العالم العربي في العصر الحديث[1].

أصبحت دار الكتب بعد إنشائها مُلكاً لديوان الأوقاف؛ لأنّ الكتب موقوفة قبل خزنها، وفي سنة 1903م أُنشئ لها مبنى لائق خُصِّصَ طابقه الأرضيّ لدار الآثار العربيّة، وطابقه الأوّل وما فوقه لدار الكتب التي فتحت أبوابها للجمهور سنة 1904م، وبقيت في هذا المبنى لغاية سنة 1971م حيث انتقلت إلى مبناها الجديد في منطقة (رملة بولاق)[2].

ضمَّت دار الكتب مجموعات نادرة من المخطوطات العربيّة، ومن أوراق البردي العربيّة، والنقود الإسلاميّة، ولوحات الخطّ العربيّ، وخرائط نادرة، ودوريّات كثيرة، ويبلغ عدد المخطوطات التي تضمّها الدار ستّين ألف مخطوط، بعد أن أُضيف إليها مكتبات غنية أثْرتْ رصيدها، وفي مقدمة هذه المكتبات[3]:

- مكتبة أحمد طلعت بك المتوفى سنة 1927م، وعدد مخطوطاتها 9594مخطوطاً.
- المكتبة التيمورية التي جمعها أحمد تيمور باشا[4]، وضُمَّتْ بعد وفاته سنة1930م.
- المكتبة الزكية التي جمعها أحمد زكي باشا[1]، ونُقِلت إلى دار الكتب المصرية سنة 1935م.

---

(1) ينظر: المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها في مصر، عزت ياسين أبو هيبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م، 231.

(2) ينظر: دار الكتب المصرية تاريخها وتطورها، د. أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1996، ص84.

(3) ينظر: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، د.محمود محمد الطناحي، مطبعة المدني بالقاهرة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1984م: ص82، 83؛ والمخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها في مصر: 232.

(4) أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، عالم بالأدب، باحث ومؤرخ مصري، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ولد في القاهرة 1871م، وفيها توفي سنة1930م، كردي الأصل، تلقّى علومه في مدرسة فرنسية، وأخذ الأدب عن علماء عصره، وجمع مكتبة قيمة، بعد وفاة زوجته انقطع إلى خزانة كتبه ينقّب فيها ويفهرس، إلى أن توفي، له مؤلفات منها، التصوير عند العرب، والألقاب والرُتب، وغيرها، نُقِلت مكتبته بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية وهي تحوي (18) ألف مجلد. ينظر: الأعلام: 100/1.

نهضت دار الكتب منذ سنة 1911م، بالإشراف على مشروع إحياء الآداب العربية، فأخرجت عدداً من الكتب القديمة في صورة مشرقة، محققة وفق منهجٍ علمي دقيق، مثل كتاب الأصنام للكلبي، ومسالك الأبصار لابن فضل العمري، وهما من تحقيق أحمد زكي باشا، وكذلك صبح الأعشى للقلقشندي، ونهاية الأرب للنويري، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى، وتفسير القرطبي.

وأخرجت طبعة رائعة للمصحف الشريف سنة 1925م عُرِفَت باسم (مصحف دار الكتب)[2].

أُنشيء قسم المخطوطات بدار الكتب سنة 1952،إذ صدر قرار بفصل المخطوطات عن الفهارس العربية، وحُدِّدت لهذا القسم اختصاصات معينة منها صيانة المخطوطات، ودراسة ما يُعرض على الدار منها لشرائه، واختيار ما يجب الحصول عليه من نفائس الكتب في العالم[3].

وتضم دار الكتب نحواً من (70000) سبعين ألف مخطوط، وقد صدرت لها فهارس، منها[4]:

- فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية وطُبع سنة 1888م.
- فهرست الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية مايو (مايس) 1926م.
- فهرست الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية ديسمبر (كانون الأول) 1928م.
- فهرست الكتب العربية الموجودة بالدار من 1930-1937م.
- فهرست المخطوطات التي اقتنتها الدار من 1936-1955م، وغيرها[5].

ويرى الدكتور محمود الطناحي أن المنهج الذي أصَّلته ((مدرسة دار الكتب المصرية للمحققين العرب قد تأثر إلى حدٍّ ما بمناهج المستشرقين الذين شُغِلوا بتراثنا، ونشطوا لإذاعته ونشره منذ القرن الثامن عشر الميلادي أو قبله بقليل))[6]، وكان صاحب الفضل في مدّ الجسور بين مصر وأوربا فيما يتصل بنشر التراث هو أحمد زكي باشا الذي اتصل بعلماء الاستشراق ومثَّل المصريين في مؤتمراتهم[7].

---

(1) أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله، أديب وبحاثة مصري، من كبار الكتّاب، ولد بالإسكندرية سنة 1867م، وتخرّج من مدرسة الحقوق بالقاهرة، أتقن الفرنسية، وعيّن مترجماً لمجلس النظار فسكرتيراً، وقام بفكرة إحياء الكتب العربية وتصحيحها ومراجعتها، جمع مكتبة فيها نحو (10) آلاف كتاب، ووقفها فنُقِلت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية، توفي سنة 1934م. ينظر: الأعلام: 126/1، 127 .

(2) ينظر: مدخل إلى نشر التراث العربي: 85.

(3) ينظر: المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها في مصر:232، ومخطوطات دار الكتب المصرية،فؤاد السيد،مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية،مايو(مايس) 1955، مج1/ج65/1.

(4) ينظر: المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها في مصر: 234-238.

(5) ينظر: م . ن: 239- 249.

(6) مدخل إلى نشر التراث العربي: 81.

(7) ينظر: م . ن: 81، وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره:95.

وقد أنشأت دار الكتب المصرية مطبعة خاصة بها جمعت فيها كل أسباب الجودة والإتقان، بحيث صار الكتاب المطبوع فيها عنواناً لأحسن إخراج، وأفضل صورة، وقام المرحوم أحمد زكي باشا بتحقيق كتاب (نَكْت الهميان في نُكَت العميان) سنة 1910م رامزاً إلى النسخ برموزٍ لاتينية، على طريقة المستشرقين، وفصل بين الجمل والفقرات بعلامات جديدة[1].

وتعدّ هذه المدة من أخصب سني دار الكتب المصرية، إذ وصلت فيها الدار مرحلة النضج والكمال في التحقيق من حيث استكمال الأسباب العلمية واصطناع الوسائل الفنية المعينة على إخراج كتب التراث إخراجاً علمياً دقيقاً، يقوم على جمع النسخ المخطوطة والمفاضلة بينها، وإضافة بعض التعليقات والشروح عليها، وصنع الفهارس التحليلية الكاشفة لكنوز الكتاب وبيان مكانته العلمية[2].

ثالثاً: المكتبة البلدية بالإسكندرية:

أُسِست هذه المكتبة في سنة 1892م، وكانت أول أمرها مع المتحف الروماني في بناءٍ واحد، ولم يكن فيها ذلك الحين إلا بضع عشرات من الكتب الأوربية، ولكن أمينها العربي[3]، جمع ما أمكنه من الكتب العربية وشجعه على ذلك مدير البلدية آنذاك، ومن خلاله أهدتهم الحكومة (413) أربعمئة وثلاثة عشر كتاباً عربياً من مطبوعات بولاق، ومن هنا كانت فاتحة القسم العربي في المكتبة، إذ أخذ القائمون بأمرها يبذلون عنايتهم بالشراء مرة وبالإهداء مرة أخرى حتى وصل رصيدها سنة 1954م إلى(80000) ثمانين ألف مجلداً ما بين عربي وأوربي.

أما المخطوطات فتربو على (4000) أربعة آلاف مخطوطة في مختلف العلوم والفنون، وبعض المخطوطات نادرة مثل مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، وكتاب

(1) ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: 92.
(2) ينظر: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: 93.
(3) لم أقف على اسمه.

الجامع لأخلاق الراوي، وآداب السامع للخطيب البغدادي، وأحد أجزاء صحيح مسلم المخطوط سنة 386هـ، وغيرها[4].

رابعاً: لجنة التأليف والترجمة والنشر:

أُلِّفت هذه اللجنة في مصر سنة 1914م، وكان نواتها طائفة من شباب مدرسة المعلّمين، ومدرسة الحقوق، تمتلئ نفوسهم غيرة على العالم الإسلاميّ؛ لإصلاحه والنهوض به.

ومن أعلامها أمين مرسي قنديل[1]، وعبد الحميد العبادي، ومحمد صبري أبو علم، وغيرهم، وكان كلّ واحدٍ منهم يُسهِم بعشرة قروش في كلّ شهر من دخله، ثمّ جُعِل السهم جنيهاً واحداً، وتولَّى رئاستها الأستاذ أحمد أمين.

ركَّزت هذه اللجنة نشاطها في إحياء التراث العربيّ، فنشرت كتاب (السلوك) للمقريزي، بتحقيق الدكتور محمّد مصطفى زيادة سنة 1934م، والعِقد الفريد بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، (ومعجم ما استعجم) للبكري، بتحقيق مصطفى السقّا، و(شرح الحماسة) للمرزوقي، وديوان (سُراقة البارقي) بتحقيق الدكتور حسين نصّار[2] سنة 1947م[3].

وقد نهضت هذه اللجنة بمهامَ جليلة في إبراز الفكر العربيّ، ونقل الثقافة الأوربيّة، فنشرتْ كثيراً من التآليف والترجمات في مختلف فروع المعرفة، وأفسحتْ مطبعتُها المجال لنشر بعض أعمال المستشرقين، وبخاصّة الألمان، من ذلك نشر كتاب (مشاهير علماء الأمصار) لابن حِبَّان البستي، بتحقيق فلايشهمر، و(الدرُّ الفاخر في سيرة الملك الناصر) لابن أيبك الدواداري، بتحقيق هانس روبرت[4].

---

(4) ينظر: المخطوطات في المكتبة البلدية بالإسكندرية، إبراهيم الشندي، مجلة معهد المخطوطات، مج1/ج68/1.

(1) لم أعثر على ترجمة لحياته.

(2) لعلَّ هذا الديوان هو أوّل أعمال حسين نصّار؛ لأنّه جاء بعد تخرُّجه من كلية الآداب/ جامعة القاهرة، ينظر: تحقيق التراث العربيّ منهجه وتطوّره: 114.

(3) ينظر: تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره: 113، 114؛ ومدخل إلى نشر التراث العربي: 124.

(4) ينظر: المصدران السابقان .

خامساً: معهد إحياء المخطوطات العربية:

أنشئ هذا المعهد في القاهرة سنة 1946م، وهو يُعدّ قسماً من أقسام اللجنة الثقافيّة بجامعة الدول العربيّة، وكان يرأس هذه اللجنة الدكتور (طه حسين)، ويشرف عليها الأستاذ (أحمد أمين).

إنّ الغاية من إنشاء هذا المعهد هي[1]:

1- جمع فهارس المخطوطات العربيّة الموجودة في دور الكتب العامّة، والخاصّة، وفهارس المخطوطات التي يمتلكها الأفراد لتوحيدها في فهرس عام.
2- تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربيّة القيّمة.
3- وضع هذه المصوَّرات تحت تصرُّف العلماء، لعرضها لمن يطلبها.
4- طبع صور المخطوطات القيّمة التي نصُّها صحيح، وخطُّها مقروء، ونشر النصوص ذات الأهمية الكبرى.
5- تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسَّسات العلميّة، في سبيل نشر المخطوطات، وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات.
6- إصدار نشرة دوريّة عمّا طُبع ويُطبع من المخطوطات العربيّة.

مرّ المعهد بمراحل[2] خلال فترة إنشائه، أوّلها: مرحلة جمع التراث، التي امتدّت من سنة 1946م لغاية 1954م، وفي هذه المرحلة تركَّز العمل على جمع التراث المتناثر في داخل الوطن العربيّ أو خارجه، من خلال إرسال البعثات[3] إلى أماكن وجود المخطوطات لانتقاء الفريد منها وتصويره.

أمّا المرحلة الثانية فقد بدأت عام 1955م، والمرحلة الثالثة امتدت من 1970م، وهي خارج ميدان الأطروحة.

وقد أخذ المعهد بتصوير نوادر المكتبات، فانطلقت بعثاته شرقاً وغرباً، إلى استانبول، والهند، والقدس، وسوريا، وبيروت، وتونس، والمغرب، ومكتبات أوربّا وأمريكا،فأصبح المعهد مستودعاً لمصوّرات هيئة اليونسكو الدوليّة في القاهرة، والعراق، والمغرب، وليبيا، في أوائل الستّينات من القرن العشرين[4].

---

(1) ينظر: أغراض معهد المخطوطات، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج1/ج128/1؛ وتحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره: 113، 114؛ ومدخل إلى نشر التراث العربي: 124.

(2) ينظر: المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها في مصر: 265.

(3) اتجهت أوّل بعثة أرسلها المعهد للتصوير إلى سورية، فصوّرت عدداً من مخطوطات المكتبة الظاهريّة، والمكتبة الأحمديّة، وفي العام نفسه صوّرت بعثات أخرى مخطوطات دار الكتب المصريّة، والمكتبة التيموريّة، وتوالت البعثات إلى تركيا والهند وإيران والبلاد العربيّة الأخرى وغيرها. ينظر: المخطوطات العربية، أهميتها وسبل حمايتها والإفادة منها، الدكتور عبداللطيف صوفي، مجلة النادي العربيّ للمعلومات، العدد الثالث، فبراير (شباط)/ 2001م.

(4) ينظر: مدخل إلى نشر التراث العربي: 133، 134؛ وتحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره: 112.

تعاقب على معهد المخطوطات رؤساء كثيرون، أوّلُهم الدكتور (يوسف العشّ)[1]، وهو من علماء المخطوطات البارزين، وكان قبل تولّيه إدارة المعهد محافظاً لدار الكتب الظاهريّة بدمشق مدّة عشر سنوات، وصنّف فهرساً لما تحتويه من مخطوطات، وقد كان أوّل من تخصّص في تنسيق الكتب والوثائق في سوريا[2].

ثمّ كان الدكتور(صلاح الدين المنجد)[3] أبرز وأنشط رؤساء المعهد، وهو من سوريا أيضاً، ويُعدُّ من خبراء المخطوطات العارفين بنوادرها.

أصدر المنجد مجلّة معهد المخطوطات، وهي أوّل مجلّة عربيّة تُعنى بشؤون المخطوطات، والتعريف بها، وأماكن وجودها، وصدر عددُها الأوّل سنة 1955م[4].

المطلب الثاني: المراكز العلمية في بلاد الشام:

تعدّ بلاد الشام (دمشق ولبنان والأردن وفلسطين) مركزاً مهماً من مراكز الإشعاع الثقافي والعلمي في أوائل القرن العشرين، خاصة دمشق ولبنان؛ لما فيها من مؤسسات علمية وتعليمية اهتمت بالعلوم كافة وبتطورها، وهنا سأعرض للمؤسسات العلمية في دمشق ولبنان ودورها في العناية بنشر التراث وتحقيقه.

أولاً: دار الكتب الظاهرية:

تعدّ دار الكتب الظاهريّة أحد المعالم المهمّة في دمشق، ووجه من أوجه تاريخها العربيّ الإسلاميّ، وتقع في المدينة القديمة، حيّ باب البريد في مدينة دمشق القديمة قبالة المدرسة العادليّة الكبرى، وتظلّلها أفياء المسجد الأموي الكبير، ويعود تاريخ إنشائها إلى عهد المماليك الذين حكموا بلاد الشام ومصر بعد الأيوبيّين وساروا على خطاهم في بناء المدارس وغيرها من المنشآت الحيويّة المهمّة.

---

(1) ولد بدمشق (ولم أقف على سنة ولادته) بحي القيمريّة، وتلقى تعليمه بمدرسة البحصة، أمّا الثانوية فقد أكملها بالكليّة العلميّة الوطنيّة، التحق بدار المعلمين العالية، وعمل بعدها سكرتيراً للتعليم العالي والفني بوزارة المعارف، انتسب إلى كليّة الحقوق، ثم ابتُعِث إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه في القانون الدولي العام والتاريخ، عمل مديراً لمعهد المخطوطات العربيّة بجامعة الدول العربيّة، ثم مستشاراً لغاية 1961م، له مؤلفات كثيرة منها: دراسات عن الخطّ العربي، والمنتقى في دراسات المستشرقين. ينظر: مقالات ودراسات مهداة إلى الدكتور صلاح الدين المنجد، مؤسسة الفرقان، 2002م.

(2) ينظر: مدخل إلى نشر التراث العربيّ: 137؛ وتحقيق التراث العربيّ، منهجه وتطوّره: 112.

(3) ولد بدمشق (ولم أقف على سنة ولادته) بحي القيمرية،وتلقّى تعليمه بمدرسة البحصة، أما الثانوية فقد أكملها بالكلية العلمية الوطنية، التحق بدار المعلمين العالية، وعمِل بعدها سكرتيراً للتعليم العالي والفني بوزارة المعارف، انتسب إلى كلية الحقوق، ثم ابتعِث إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه في القانون الدولي العام والتاريخ، عمِل مديراً لمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ثم مستشاراً لغاية1961م، له مؤلفات منها دراسات عن الخط العربي، والمنتقى في دراسات المستشرقين. ينظر: مقالات ودراسات مهداة إلى الدكتور صلاح الدين المنجد/مؤسسة الفرقان، 2002م، ص12.

(4) ينظر: مدخل إلى نشر التراث العربي: 137؛ وتحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: 112.

وتزدهي دمشق كغيرها من حواضر بلاد الشام بالمدارس ومراكز العلم، فقد كانت المدارس منتشرة في كل حي من الأحياء القريبة من الجامع الأموي، من قلب المدينة إلى سفح جبل قاسيّون[1].

أمّا سبب تسميتها بالظاهريّة فيرى الدكتور عزة حسن أنّها ((سُمّيَت المدرسة بالظاهريّة باسم الملك الظاهر الذي دفن فيها، وهو السلطان ركن الدين أبو الفتوح بيبرس البندقداري التركي، ملك مصر والشام، وهو أشهر سلاطين المماليك البحريّة، وأول من وطّد حكمهم في بلاد الشام بعد زوال الدولة الأيّوبيّة إثر دخول التتار دمشق أيام قائدهم هولاكو))[2].

فتحت المدرسة الظاهريّة أبوابها لأوّل مرّة يوم الأربعاء 13/صفر/677هـ، مع أنّ بناءها لم يكن قد اكتمل، فألقى فيها أوّل درس الشيخ (رشيد الفاروقي)[3] في الفقه الشافعيّ؛ وقد بقيت المدرسة سنوات على هذه الحال مركزاً من مراكز تدريس الفقه على المذهبين الحنفيّ والشافعيّ إلى نهاية القرن الثالث عشر، إذ بدأت مرحلة جديدة في تاريخها، إذ حوّلها العثمانيّون إلى مدرسة ابتدائية حملت اسم الملك الظاهر وذلك سنة 1294هـ[4].

في القرون المتأخِّرة أُهملت المدرسة فخرب بعضها، ودَرَس البعض الآخر، ولا سيّما القسم الشماليّ الملاصق لحمّام العقيقي، إذ أثّرت الرطوبة الناشئة من الحمّام فسهّلت تداعيه، ولهذا تضاءل شأنها في القرن الثالث عشر الهجريّ، ففقدت مكانتها، وأضاعت مجدها القديم[5].

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلاديّ، طرأ على الظاهريّة طارئ أعاد لها الحياة من جديد، إذ استصدر والي دمشق (مدحت باشا)[6]، قراراً بجمع الكتب في مكتبة عامّة مقرّها مدرسة الملك الظاهر، وعيَّن لها محافظين؛ وقد شهدت المكتبة نهضتها المتميّزة حين تصدّى الشيخ (طاهر الجزائريّ)، مفتّش المعارف حينذاك للعمل الجادّ في جمع المخطوطات الثمينة والمطبوعات القيّمة، حرصاً منه على حماية عيون التراث الفكريّ الذي كان متفرقاً بين المكتبات الخاصّة، والمساجد، والبيوت القديمة، فاتّصل بالسلطان العثمانيّ الذي أصدر قراراً بجمع المخطوطات والكتب عام 1295هـ الموافق 1877م، وقد جُمعت المئات منها[1].

---

(1) ينظر: المدرسة الظاهريّة بدمشق (دار الكتب الظاهريّة)، د. عزة حسن، مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، لعام 2007م، مج82، ج3/1.

(2) المدرسة الظاهريّة بدمشق (دار الكتب الظاهريّة): مج82، ج6/1.

(3) لم أقف على ترجمة حياته في المصادر التي رجعت إليها.

(4) ينظر: المدرسة الظاهريّة بدمشق (دار الكتب الظاهريّة): مج82، ج8/1؛ والمكتبة الظاهريّة بدمشق، سبعون ألف مخطوطة ومطبوعة، محمّد مروان مراد، مجلة الوعي الإسلاميّ الكويتيّة، العدد 493 لسنة 2007م.

(5) ينظر: المدرسة الظاهريّة بدمشق (دار الكتب الظاهريّة): مج82، ج9/1، والمكتبة الظاهريّة بدمشق، سبعون ألف مخطوطة ومطبوعة، محمّد مروان مراد، مجلة الوعي الإسلاميّ الكويتيّة، العدد 493 لسنة 2007م.

(6) أحمد مدحت بن حاجي حافظ أشرف أفندي العثماني، ولد باسطنبول سنة1822م، وكان أبوه قاضياً، تعلّم العربية والفارسية وتقلّب في الوظائف، حتى كان والياً على بغداد، ثم والياً على الشام، فأنشأ فيها جمعيات علمية وأدبية، توفي سنة1883م. ينظر: الأعلام:195/7.

(1) ينظر: المدرسة الظاهريّة بدمشق (دار الكتب الظاهريّة): مج82، ج10/1، والمكتبة الظاهريّة بدمشق، سبعون ألف مخطوطة ومطبوعة، محمّد مروان مراد، مجلة الوعي الإسلاميّ الكويتيّة، العدد 493 لسنة 2007م.

وبذلك تحولت المدرسة إلى مكتبة سُمّيَت بالمكتبة العموميّة، وصُنِّفت فيها الكتب حسب العلوم، وصُنِعت لها فهارس على غرار فهارس المكتبات في استانبول، وافْتُتحت في قبّة الملك الظاهر التي صارت مقرّاً للكتب وقاعة للمطالعة سنة 1881م، وسُمّيت الظاهريّة بدار الكتب العربيّة في عهد الحكومة العربيّة التي قامت في سوريا سنة 1919م، ثمّ دُعيت بدار الكتب الوطنيّة الظاهريّة، وتطوّرت واتسعت حتّى صارت إحدى أشهر دور الكتب في العالم العربيّ[2].

تشتمل المكتبة الظاهريّة على قاعة مخصّصة للباحثين الذين يعدّون رسائلهم الجامعيّة، ولا سيّما في تخصّص اللغة العربيّة وآدابها، ودواوين الشعر العربيّ، وتراجم الأعلام، فضلاً على كتب التفسير والعلوم الشرعيّة والمعاجم، وتوجد قاعة كبيرة مخصّصة للمطالعة تحمل اسم العلامة (مصطفى الشهابيّ)، فضلاً على مستودعات أوّلها للمخطوطات، والثاني للمطبوعات، والثالث للدوريّات، وكلّها مدرجة في فهارس علميّة تيسّر لروّاد المكتبة الحصول على المصادر بسرعة وسهولة.

وتم نقل مخطوطاتها ومراجعها حالياً لحفظها في المكتبة الوطنية المركزية أو ما تُسمَّى بمكتبة الأسد التي تعد أكبر المكتبات وأهمها وتحتوى على آلاف الكتب والمراجع والمخطوطات النادرة.

لقد مرّ على قيام المكتبة الظاهريّة نيّف وسبعة قرون، وما يزال هذا الصرح الحضاريّ يؤدّي مهمّته الثقافيّة على أتمّ وجه، ويلقى العناية من حيث التجديد والإصلاح، وتزويده بكل جديد من المؤلّفات والمراجع والدوريات[3].

ثانياً: الجمعيّات والنوادي العلمية في حلب:

لم تقم في حلب جمعيّات، ولم ينشأ فيها قبل إعلان الدستور العثماني سنة 1908م ما يمكن أن يُطلق عليه اسم جمعيّة علميّة أو أدبيّة، ولعلّ ذلك يعود سببه إلى ((الاستبداد والضغط على الأفكار وسوء ظنّ الحكومة بكلّ اجتماع))[4]، ولكن ظهرت فيها قبل الدستور جمعيّات قليلة لم تلبث أن انتهى أمرها وأُغلِقت، ومن هذه الجمعيّات (جمعيّة النشأة التهذيبيّة) التي تأسّست سرّاً سنة 1907م، ثمّ برزت في السنة التالية وبشكل علنيّ لتحرّض الناشئة على إنشاء الجمعيّات العلميّة، لبثّ روح الرقيّ العلميّ والتقدّم الأدبيّ، ولكنّ أيّامها لم تطُـــل،

إذ أُغلِقت بعد عام[1].

---

(2) ينظر: المدرسة الظاهريّة بدمشق (دار الكتب الظاهريّة): مج82، ج10/1 .

(3) ينظر: المكتبة الظاهريّة بدمشق، سبعون ألف مخطوطة ومطبوعة، محمّد مروان مراد، مجلّة الوعي الإسلاميّ الكويتيّة، العدد 493 لسنة 2007م.

(4) تاريخ آداب اللغة العربيّة، جرجي زيدان، راجعها وعلّق عليها: د. شوقي ضيف، دار الهلال، 1957م: 86/4.

(1) ينظر: م. ن: 86/4؛ والحركة الفكريّة في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، عائشة الدبّاغ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1972م: 114.

وفي سنة 1909 أنشأ القسّ توما أيّوب (نادي الأدب)، ليصرف الشبيبة عن اللهو وارتياد المقاهي، ليملأ فراغ أيامهم بالمطالعة[2].

وفي سنة 1910 اجتمعت جماعة من أدباء حلب، لتكوين نادٍ يؤدّي الغرض نفسه الذي دعت له جمعيّة النشأة التهذيبيّة، وأضافوا عليه فكرة الدعوة إلى بثّ روح التعاون لنشر العلوم والفنون، وتولّى رئاسة النادي والي حلب آنذاك، وعلى الرغم من الإقبال الذي لاقاه فقد أُقفل بعد مدّة[3].

ولهذه الجمعيات أثر وإن كانت مدة ظهورها قليلة إلا أن تأثيرها بدا واضحاً في بثّ روح التعاون وحب العلم ومحاولة التعرّف على مختلف العلوم والفنون بين أوساط الشباب.

ثالثاً:دار الكتب اللبنانيّة:

أَسّس دار الكتب اللبنانيّة الوطنيّة الفيكونت فيليب دي طرازي، سنة 1921م، وللدار بناية خاصّة بها، وتملك الدار دائرة مخطوطات فيها ما ينوف قليلاً عن الألف مخطوط، بين مجلّد ضخم، أو رسالة، أو كرّاس، أو وثيقة تاريخيّة، في شتّى المواضيع: التاريخ والأدب والرحلات والتراجم والجغرافيا والطبّ والفلسفة والهندسة والرياضيّات والفقه والنبات والحيوان وبعض المعاجم والعلوم الاقتصاديّة والسياسيّة والتشريع والتفسير، وغيره[4].

وفيها من المخطوطات ما هو بالعبريّ، والسريانيّ، والأرمنيّ، والفارسيّ، والتركيّ، وغيره؛ ولدى الدار مجموعة من الجلود القديمة ممّا هو دمشقيّ، وعراقيّ، وفاطميّ، وأندلسيّ، ومغربيّ؛ كما تملك الدار مجموعة من المخطوطات التاريخيّة القيّمة غير المطبوعة عن اليمن[5].

المطلب الثالث: المراكز العلمية في العراق:

مكتبة المتحف العراقيّ ببغداد:

تُعدُّ مكتبة المتحف العراقيّ من المكتبات الحديثة في العراق، فقد أُنشئت سنة 1933م، بمجموعة صغيرة من الكتب المطبوعة، وما لبث ذلك العدد الذي لم يتجاوز مئتي مجلّد أن أخذ يتزايد سنة بعد أخرى، حتّى أصبح سنة 1955 زهاء ستّة وعشرين ألف مجلّد،منها (2246) ألفان ومئتان وست وأربعون مجلّداً مخطوطاً، وبقيّة المجلّدات مطبوعة.

ومع حداثة هذه المكتبة، إلا أنّها اليوم تعدُّ من أوسع مكتبات العراق في عدد مجلّداتها، ومن أنفَسها في موضوعاتها، وتضمّ على رفوفها مختلف المراجع في سائر العلوم: في التاريخ، والآثار والأديان واللغات والفنون والحضارات المتّصلة ببلدان الشرق، ولا سيّما العراق.

وعامّة المخطوطات مكتوبة باللغة العربيّة، إلا أنّ منها ما هو مكتوب باللغة الفارسيّة، والتركيّة والأُرديّة والمندائية والصابئة، وغيرها من اللغات المختلفة[1].

---

(2) ينظر: تاريخ آداب العرب: 87/4.

(3) ينظر: تاريخ آداب العرب: 87/4؛ والحركة الفكريّة في حلب: 115.

(4) ينظر: المخطوطات العربية في دار الكتب اللبنانية،نور الدين بيهم،مج 1/ج51/1.

(5) ينظر: م . ن: مج1/ ج51/1.

(1) ينظر: مخطوطات مكتبة المتحف العراقي ببغداد، كوركيس عواد، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج1/ج37/1.

أما مصادر هذه المخطوطات فقد كان أحد الطرق الثلاث:

1- ما اشْتُري من أصحابه.
2- ما أهداه الناس إلى المكتبة.
3- ما صودر من أصحابه لدواع معيّنة[2].

والمقتنَى من هذه المخطوطات ما كان شراؤه انفراديّاً، مخطوطاً، ومنه ما تمّ شراؤه على شكل مجاميع؛ وأشهر تلك المجاميع[3]:

1- مجموعة الشيخ محمّد السماويّ: وهو علم من أعلام النجف، أحرز مكتبة نفيسة جمعت بين المخطوط والمطبوع، وكان فيها من نوادر المخطوطات الشيء الكثير، وفي سنة 1949م اقتنت مكتبة المتحف من تلك المخطوطات (58) ثمانية وخمسين مخطوطاً، أمّا سائر المخطوطات الخاصّة بمكتبة السماويّ فقد بيعت مع بقيّة كتب المكتبة المطبوعة إثر وفاته سنة 1950م، فتفرّق شمل المكتبة، لأنّ ورثته باعوها بأجمعها، وبعض مخطوطات المكتبة اشتراه بعض الأدباء مثل صادق كمّونة، ومحمّد رضا فرج الله[4].
2- مجموعة سيادة الشريف حازم: وقد اقتُنيت سنة 1949م، وعددها (204) مئتان وأربعة مخطوطة.
3- مجموعة الحاجّ عبداللطيف ثُنَيّان: وعددها (11) مخطوطاً، اشتريت سنة 1952، وتوفّي الأستاذ ثنيّان سنة 1944، وبيعت مكتبته بعد وفاته، وكان فيها المخطوط والمطبوع.

وقد ضمّت مكتبة المتحف كثيراً من المخطوطات التي أُهديت للمكتبة، مثل مخطوطات المكتبة العامّة في بغداد وعددها (93) ثلاث وتسعون مخطوطاً سنة 1946م، ومخطوطات مكتبة الأب أنستاس الكرمليّ وعددها (1335) ألف وثلاثمئة وخمس وثلاثون مخطوطاً أُهديت بعد وفاته سنة 1950م.

ولا ننسى المخطوطات التي صادرتها الحكومة كمخطوطات مكتبة السيد رشيد عالي الكيلانيّ وعددها (117) مئة وسبعة عشر مخطوطاً صودرت سنة 1949م، ومخطوطات عبريّة من مخلّفات اليهود ببغداد، وصودرت سنة 1954[5].

تنطوي مجموعة هذه المخطوطات على مختلف المواضيع العلميّة في مختلف العلوم، ففيها كتب في التاريخ والتراجم والبلدان، كما أنّ فيها مؤلّفات في الأدب والشعر واللغة والتفسير والفقه والعقائد، فضلاً على مخطوطات في الطبّ والفلك والكيمياء والرياضيّات، ومن كتب اللغة الموجودة في المكتبة كتاب العين للخليل بن أحمد والمحيط للصاحب بن عبّاد والصحاح في اللغة

---

(2) ينظر: م . ن:مج1/ج1/37.
(3) ينظر: م . ن: مج1/ج1.
(4) ينظر: مخطوطات مكتبة المتحف العراقي ببغداد:مج1/ج1/42 .
(1) ينظر: م . ن: مج1/ج1/42، 43.

للجوهريّ وخلق الإنسان لأبي عبدالله الخطيب، ومن كتب الأدب نهج البلاغة، وربيع الأبرار للزمخشريّ، وشرح مقصورة ابن دريد، والمستقصى من أمثال العرب، وغيرها[1].

(2) ينظر: مخطوطات مكتبة المتحف العراقي ببغداد: مج1/ج1/ 42، 43.